الصبر مفتاح الفرج

روايـة لهـذا العصر

أدريانه الجميلة في الثامنة عشرة من عمرها يتيمة الوالدين وحيدة تجاهد في معترك الحياة لنيل ما تحتاجه من لوازمها الضرورية . نشأت في قرية في شمال فرنسا وتلقت العلوم في مدرسة الراهبات فنالت منها القسط الاوفر وهي من والدين فقيرين كان أبوها يزاول صناعة الحدادة في مصنع كبير بالقرية بمرتب بسيط لا يكاد يكفيه وزوجته وابنته . ماتت أمها ولم يمض الحول حتى مات والدها من شدة حزنه عليها فأصبحت أدريانه وحيدة لا أنيس لها . وما بلغ الخبر رئيسة الدير التي تربت فيه حتى استدعتها وعرضت عليها التدريس في مدرسة الدير وذلك رغبة منها في مساعدتها على مقاومة الحياة براتب شهري كان بالحقيقة يكفي فتاة .

فقبلت أدريانة بعد أن شكرتها على صنيعها ثم باشرت التدريس من يومها فاستأنست بتلميذاتها اللواتي أنسينها قليلا حزنها على فقد والديها وهكذا قضت شطراً من الزمن وهي لا تدري ما تخبئه لها الايام وما رافت أيام العطلة المدرسية حتى اضطرت لملازمة غرفتها التي كانت استأجرتها بالقرب من الدير وكانت في كل يوم أحد تذهب للتنزه في الغابات المجاورة لضفاف البحيرات التي يقربها ولا سمير لها الا الكتاب فخرجت يوما قاصدة التنزه على ضفة احدى البحيرات في طرف الغابة وما وصلت حتى جلست في ظل شجيرة وكان في يديها كتاب يحتاج درسه الى الامعان وما انتهت من تلاوة صفحة منه حتى سمعت وقع حوافر جواد بقربها فالتفتت واذ بفارس جميل الطلعة مستويا على سرج جواده وما كان الا المركيز أرمان دي سان لوار فنظر اليها مليا فلم تعره التفاتا وبقيت تطالع في كتابها فترجل المركيز عن جواده وربطه بشجرة قريبة ثم أخذ ملفا مربوطا في سرج الجواد يحتوي على أدوات الرسم حيث كان من هواته المعدودين وله ولع شديد برسم المناظر الطبيعية فلذا كنت تراه دائما بين الاحراج والغابات متفننا في رسمها فجلس هناك بقرب ادريانه على كرسي صغير يفتح ويقفل كالذي يستعمله الرسامون المتجولون وابتدأ بالرسم

وهو يرمق خلسة تلك التي سلبت لبه من نظرة فأخذ بجمالها وهكذا صار كل يوم يذهب باحثا عنها في الغابات او على ضفاف البحيرة محتطيا جواده ومعه ادوات الرسم حتى اذا رآها يجلس بعيدا عنها يرمقها وقد أخذ منه حبها كل مأخذ واصبحت شغله الشاغل ولم تخف هذه النظرات على ادريانه وكانت هي ايضا معجبة بجماله فترمقه من طيات كتابها وبقيا على هذه الحالة شهراً من الزمن حتى تملك بينهما الاثنتاس عن بعد في نزهتهما بين هذه الاحراج البعيدة عن الغوغاء

والانسان أسير العادة فاذا ما الف نظره شيئ ووقع منه موقع الاستحسان آنس منه وهذا ما جرى للمركيز وادريانه . تبع المركيز غرامه ولم يعد يهنأ له عيش الا بقرب ادريانه فصمم ذات يوم على مفاتحتها بما يكنه قلبه من شعلة حبها وما يكابده من لوعة غرامها فخرج يوماً ميكراً هائماً على وجهه نحو الامكنة التي اعتاد ان يراها تتنزه فيها فلم يحظ برؤيتها فعاد الى قصره خائباً وهكذا اضحى يمضي وقته في الغابات والاحراج وعلى ضفاف البحيرات باحثا عنها ولكن على غير جدوى واذ لمحها آتية بين الاشجار ابتعد قليلا حتى تستقر في مكانها وما كان من ادريانه الا أن بقيت سائرة على ضفة البحيرة وجلست في ظل شجرة كبيرة وابتدأت تشتغل شغلا يدويا كانت احضرته معها فترجل المركيز عن ظهر جواده وربطه في شجرة . فسهل الجواد مما جعل ادريانه ان تلتفت خلفها فرأت المركيز وتنهدت ولكنها حولت وجهها عنه منهمكة في شغلها فتقدم هو نحوها بكل حذر وما اقترب منها حتى رفع قبعته منحنيا وألقى التحية بكل احترام قائلا — اني استميحك عفواً يا سيدتي لازعاجك ولجرأتي التي هي سبب لدافع قوي منشؤه الشعور وسلطان حاكم على النفوس التي تشعر وترى من خلال العواطف . فمنذ شهر وقع نظري على محياك الجميل فدعاني داعي الهوى فعانيت ما عانيت واخيراً عولت على ان اشكو لك ما خالج فؤادي عساك تنظرين لي نظرة عطف وانا المركيز ارمان دي سان لوار صاحب هذه الغابات والاحراج والبحيرات العديدة فنظرت اليه ادريانه بدهشة ولم تجب غير انها كفت عن الشغل !

فقال لها المركيز اذا كان يا سيدتي ما تفوهت به يسوءك فاني اعتذر واعود

من حيث اتيت معتزلا اقاسي في لوعتي حكم القدر الذي لا يشفق ولا يرحم فقد تصدع قلبي تحت حكمه الجائر كما يتصدع الزجاج فلا يكون له انجبار وفي مكارم اخلاقك التي تبدو على محياك الجميل اكبر شفيع على الصفح والغفران فكرم الخالق من جمال الوجه

ادريانه — انك تغالي يا سيدي في كلامك وقد تشرفت بمعرفتي اسمك غير اني فتاة فقيرة لا استحق كل هذا المدح وعلى ما ارى ان الهوة التي بيننا من التفاوت في المقام عميقة تجعلني ان لا اعود للنزهة في هذه الارجاء لاجتناب امور ربما ظهرت في الغد مؤلمة

المركيز — كأنك يا سيدتي غير واثقة بقولي فتروميين البعد والاختفاء عن محياك الذي يهون عليه ان يضحي كل عزيز لديه في سبيل مرضاتك فاذكري لي اسمك المحبوب لأسطره داخل فؤادي محفوفا بآيات الحب الخالص

ادريانه — ان اسمي ادريانه ياسيدي واكرر لك قولي اني فتاة فقيرة يتيمة الوالدين لا املك غير راتبي الذي اتقاضاه من مدرسة الراهبات واسكن في غرفة حقيرة واما أنت فشاب غني تأوي القصور والعواصم فجدير بك ان تبحث عن فتاة من مقامك تشاطرك عواطفك

المركيز — ما الغنى والقصور ولا شيء في الوجود يحول دون الغرام فالحب يجعل الناس في مستوى واحد حيث لامقامات ولا درجات وها انا انطرح على قدميك مظهرا حبي حتى تمني علي بنظرة وتبادليني قلبك

ادريانه — مكانك ياسيدي ! من أنا حتى تركع امامي فالسجود لا يكون الا لله وحده وتبصر فيما انت قادم عليه فالحب لا يباع ولا يشترى وامتلاك القلوب ليس بالأمر الهين نعم ان الدخول في بابه سهل لكن متى ائتلف القلبان وما اصعب الخروج منه اذا بدا تغيير على احدهما فكيف تكون حالة الآخر اذا كان صادقا امينا لا سيما اذا كان التفاوت بينهما ظاهراً

المركيز — اني اقسم لك بشرفي بأن اكون امينا في الحب

ادريانه — (نظرت اليه ادريانه ثم نظرت الى السماء) لا شاهد بيننا الا الله

وأشارت له بيدها فتناولها وضمها الى صدره وتنهد ثم طبع عليها قبلة حارة شعرت بأن يدها تلتهب واصبحا لا يحلو لهما العيش الا اذا تشاكيا فيقضيان طول النهار في التنزه والتجول بين الرياض وفي المساء يرافقها المركيز الى غرفتها حتى اذا حل موعد فتح المدارس لم تعد ادريانه للتدريس وذلك كانت رغبة المركيز الذي كان يقدم لها المال الوافر والهدايا الثمينة وكان له منزل صغير تحيطه حديقة غناء مفروشا بأثمن الرياش فكانا يتقابلان فيه هكذا مدة ثمانية شهور لم يفترقا الا عند منتصف الليل وفي الصباح يجتمعان حتى تملك الحب بينهما واذ شعرت ادريانه بأنها استصبح بعد شهور اماً ، وما اخبرت المركيز بذلك حتى تغيرت سحنته وجافاها منذ ساعته وانقطع عن مقابلتها

فلازمت غرفتها بين الحزن والبكاء وكانت كل يوم تذهب للمكان الذي اعتادت ان تقابله فيه وتراسله ولكن على غير جدوى فشق عليها المصاب وما اتمت مدة حملها حتى وضعت غلاماً فأخذته لتخفي فضيحتها وتوجهت ليلا الى دير في بلدة مجاورة يربي اللقطاء فسارت في الليل الدامس ولما بلغته وجدت بجانب الباب الكبير ثغرة في الحائط بها سلة لوضع اللقطاء ثم سلسلة متصلة بجرس كبير فنظرت الى السلة وهي تقبل طفلها وتبكي مترددة بين الحنان الابوي والفضيحة وكلما وضعته في السلة حملته ثانية وهكذا بقيت ساعة من الزمن بين التردد واخيراً صممت على وضعه وتناولت سلسلة الجرس وجذبتها بيد مرتعشة وما هي الا دقيقة حتى رأت السلة دارت على نفسها الى الداخل وعادت كما كانت عليه فارغة فطار صوابها وركعت تصلي وتبكي ثم مشت تطوف حول الدير وهي كمن فقد صوابه وكلما تذكرت انها لقاء بعد الفراق تتقطع اوصال قلبها وتذرف الدموع الحارة فركعت رافعة يديها الى السماء تصلي للخالق العظيم ان يرحمها ويلهمها ما يجب ان تفعله وبعد اتمام صلاتها اسندت رأسها على باب الدير وسبحت في وادي الافكار ثم خطر لها ان تقرع الجرس وكأن دافع رفع يدها نحو السلسلة المدلاة واذا بالباب قد فتح وظهرت منه راهبة نور الطهارة بادٍ على محياها فقالت لها الراهبة — ماذا ترغبين يا ابنتي

ادريانه — (باكية) ان لي رغبة في مواجهة طبيب الملجأ فاذا تكرمت علي بذلك يجزيك الله عني خيراً

الراهبة — ادخلي يا ابنتي فالسماء ستمطرنا مدرارا لأن الهواء يهب باردا

فدخلت ادريانه تتبع الراهبة نحو غرفة طبيب الدير الذي كان جالسا خلف مكتبه الكبير مشغولا ببعض التقارير وكانت الغرفة كبيرة بسيطة الرياش مؤلفة من بضع كراسي من الجلد وفي وسطها منضدة بيضاوية الشكل من خشب الجوز وفي صدر هذه الغرفة خزانة كبيرة فيها المجلدات الضخمة وفي طرفها الموقد .

وما اقتربت الراهبة وادريانه الى باب غرفة الطبيب حتى وقفتا فقالت الراهبة لادريانه لا ادري اذا كان يسمح بمقابلتك وعلى كل حال سنرى وطرقت الباب فأجابها صوت رقيق من الداخل (ادخلي) ففتحت الراهبة الباب وأطلت برأسها قائلة

الراهبة — اتسمح يا سيدي بمقابلة سيدة تلح بأن تراك وقد جاءت تحت الزوابع والامطار

الطبيب — ادخليها ايتها الاخت عسى يكون بها ألم فسعيت إلي لأصف لها الدواء

فأدخلتها الراهبة إلى الغرفة واستأذنت بالخروج واقفلت الباب خلفها فوقفت أدريانه قرب الباب وضمت يديها على صدرها واخذت بالبكاء فنظر اليها الطبيب ثم تقدم اليها وقادها إلى قرب مكتبه قائلا لها لماذا تبكين يا سيدتي وبأي ألم تشعرين اني مستعد لأن اصف لك الدواء الشافي بأذن الله

أدريانه — آه يا سيدي ليس كل من يسعى إلى طبيب يشكو اليه يكون مريضاً فالشكوى تختلف باختلاف الأسباب كما أن الدواء يختلف باختلاف العلة فعلتي في القلب الذي يتحمل كل الطوارىء التي تداهم كل فرد فيرزح تحتها متألما متوجعاً وذلك لا يمنعه من أن يبقى سليما

الطبيب — هدئي روعك ياسيدتي واقصحي عما ترغبين وانا اعدك بالمساعدة وأبذل جهدي بتخفيف ما ألمّ بك فالطبيب هو كالكاهن يحتم عليه كتم الاسرار

ادريانه — فنظرت ادريانه في صدر الغرفة صليباً كبيراً معلقا فاشارت اليه للطبيب قائلة : انظر يا سيدي إلى هـذا الصليب واقسم لي بشرفك أن تكون كتوماً لما سأخبرك به

الطبيب — (ناظراً إلى الصليب) أني اقسم لك بالصليب وبشرفي وشرف مهنتي أن اكون أميناً على سرك فتنهدت المسكينة واستراحت قليلا لهذا القسم ورفعت نقابها عن وجهها ونظرت إلى الطبيب فاحصة هيئته فاذا به شاب في الخامسة والثلاثين من عمره طلق المحيا عريض الجبهة تبدو عليه سيماء الشرف والمروءة، واما هو فاندهش من جمالها لا سيما وان حزنها وبكاءها زاداها جمالا فوق جمال فمسحت عينيها بمنديلها وسردت قصتها للطبيب ولم تخف عنه شيئاً فتأثر الطبيب الرقيق العواطف وكاد يبكي فتجلد حتى لا يؤثر على تلك الأم المنكودة الحظ واخذ يسكن روعها باعذب الكلمات ثم وضع رأسه بين يديه وجال في وادي الفكر مدة ثم نظر اليها قائلا

(الطبيب) اني على وعدي من مساعدتك فاعلمي ايتها السيدة أن الكونتيسه دي شاتوبريان وضعت غلاما في هذه الليلة هنا في هذا الملجأ ومات بعد ولادته بساعة وهي تجهل ذلك حيث أنها على أثر ولادتها قد اغمي عليها فاجتهدت في افاقتها فأفاقت قليلا ثم عادت إلى الاغماء وذلك لكثرة ما استنزف من دمائها فسأضع طفلك بدلا من طفلها وأعدك أن اجعلك مرضعاً للطفل براتب شهري فتكونين بذلك معه في قصرها وهذا ما يمكني اجراؤه الآن

ادريانه — ومن يثبت شخصيته في المستقبل

الطبيب — ان الذي يثبت ذلك وجودي اذا بقيت حياً وسجل الملجأ

ادريانه — (باكية) بأي لسان اشكرك يادكتور

الطبيب — لا شكر على واجب يجب علي صنعه فالعدل يقضي أن لا تفارقي ولدك وما سأصنعه ليس إلا تخفيفاً لآلام ام منكودة الحظ فطبيبي نفسياً

ادريانه — ارجوك يا سيدي أن تسمح لي برؤية ولدي

الطبيب — في الحال يا سيدتي فسأحضر الرئيسة واطلعها على الخبر ونتفق سوياً على اجراء ما قاله لك

ثم قرع الطبيب الجرس فحضر الخادم فقال له (الطبيب) ادع لي الرئيسة

الخادم — سمعاً وطاعة يا سيدي (وخرج) وما هي إلا برهة وجيزة حتى سمع طرقاً خفيفاً على الباب

فقال الطبيب — تفضلي بالدخول ياسيدتي — ففتح الباب ودخلت الرئيسة وهي راهبة مسنة تبلغ الخمسين من عمرها . فقادها الطبيب نحو ادريانه وقدم لها مقعداً قائلاً اجلسي يا سيدتي ان لي معك شأناً يحتاج للتروي فجلست الرئيسة وجلس الطبيب ايضاً فروى لها قصة ادريانه فتأثرت وصمموا على تنفيذ ما قرره الطبيب ثم خرجت وعادت بعد خمس دقائق وهي تحمل الطفل فاختطفته منها ادريانه وهي تبكي تارة وتضمه وطوراً تقبله وهي تلفظ آيات الحنان فتأثر الطبيب والرئيسة لهذا المشهد واذا بالخادم اتى يطلب الرئيسة ليخبرها أن الكونتس افاقت من اغمائها وهي ترغب في محادثتها فتوجهت الرئيسة لمقابلتها ثم عادت واخبرت الطبيب وادريانه انها تسأل عن طفلها

فقال الطبيب هيا بنا جميعاً اليها وعلي اتمام الباقي فتوجهوا لغرفة الكونتيس وكانت مضطجعة في سريرها وما رأتهم داخلين حتى استوت جالسة ومدت يديها لتتناول الطفل وهي تبتسم فتناولته وقبلته مراراً بشوق فقال لها الطبيب كفي يا سيدتي ولا تجهدي نفسك كثيراً وانت في حالة من الضعف توجب الراحة والاعتناء

الكونتيس — اني لا أدري فضلك يا سيدي الطبيب وما بذلته من الاعتناء بي

الطبيب — ليس لي فضل ياسيدتي فان واجبي يقضي علي بذلك وانتي انما انا راحتك قد احضرت مرضعة للطفل بمعرفتي وهي صحيحة الجسم يعول عليها

الكونتيس — ان لساني عاجز عن شكرك يا سيدي لاعتنائك بطفلي ايضاً

فتلازمني هذه المرضع وتقيم هنا في غرفتي حيث ارغب أن يكون طفلي دائما بجانبي فاين هي وما اسمها ؟

الطبيب — هذه هي يا سيدتي اني اقدمها لك وتدعى ادريانه

فتقدمت ادريانه نحو الكونتس واحنت رأسها باحترام فنظرت اليها الكونتس وقد أحبتها لأول وهلة

ادريانه — اني مستعدة يا مولاتي ان اقوم لك بكل ما تعهدينه الي خير قيام بكل ما أوتيت من قوة

الكونتيس — ليس عندي ما أعهده اليك سوى الاعتناء بهذا الطفل وان تبقي دائماً ملازمة لي في روحاتي وغدواتي

— ادريانه — اني أحافظ عليه يا مولاتي كما أحافظ على ولدي

الكونتيس — وهل لك أولاد ؟

ادريانه (ناظرة اليها بانكسار) كان لي (واحنت رأسها)

الطبيب — فقدته يا سيدتي على أثر الولادة

الكونتيس — مسكينة يا ادريانه عسى ان يكون لك بعض التعزية بتعهدك ولدي

ادريانه — نعم يامولاتي لي كل التعزية (وبكت)

الكونتيس — لا تبكي يا ادريانه فسأجتهد ان اجعلك سعيدة

ادريانه — شكراً لك يا مولاتي وجزاك الله عني خيراً

الكونتيس — واذا سمح حضرة الطبيب باصدار امره باحضار سرير آخر في غرفتي حتى تبقى وولدي بقربي اكون له شاكرة

الطبيب — حسب امرك يا سيدتي

ثم احضروا سريراً الى غرفة الكونتيس وما أتمت المدة المقررة للراحة بعد الولادة حتى حضر زوجها الكونت اندريه دي شاتوبريان لنقل زوجته الكونتيس للقصر وما وقع نظره على ادريانه حتى سأل الكونتيس عنها فأخبرته أنها المرضع فأنس بها وارتاح لوجودها حتى تقوم بخدمة ولده ثم أخذ الطفل بين يديه يداعبه

جذلا ثم قال لها اني ارغب أن أدعوه باسم والدي فهو من اليوم يدعى رودلف

الكونتيس — هذا ما كنت راغبة فيه يا عزيزي اندريه ثم استعدوا للذهاب للقصر وما هي الا نصف ساعه حتى كانوا جميعاً في العربة وبصحبتهم الطبيب الذي دعاه الكونت لمرافقتهم وهكذا فقد مكثت ادريانه في قصر الكونت اندريه معززة مكرمة ولم يمض على هذه الحوادث حولين حتى وضعت الكونتيس ابنة في غاية الجمال فعهدوا بتربيتها لأدريانه التي أصبحت كأنها من أهل القصر حيث عاين الكونت والكونتيس محبة ولديه ومحبتها لها

***

ثمانية عشر سنة مضت على هذه الحوادث كان رودلف في خلالها تحصل على العلوم العليا وأصبح شابا جميلا وكان حبه لشقيقته غريباً لا يعرف له سبب ففي وقت خلوه من الدروس يتنزهان سويا ويضمان بعضهما بشوق ولا يناديان بعضهما الا بلفظة يا حبيبي ويا حبيبتي وكم كان رودلف يقول لشقيقته ايفون ما اصعب على قلبي يا حبيبتي ايفون ذلك اليوم الذي تتزوجين به ونفترق

ايفون — ان هذا لا يكون ابدا يا حبيبي رودلف فلا افارقك فانك لي بمثابة الروح فكيف اذا فارقتك تكون لي لذة في الحياة

رودلف — ان هذا الامر لابد منه وانت جميلة يا أختاه ومطمح انظار الجميع وقد لحظت من نظرات البارون ادجار اليك في المرقص الذي أقامه والدي ليلة عيد الميلاد أنه يهواك

ايفون — اني أمقته يا حبيبي رودلف وليس لي طاقة على احتماله وسأجتنب الاجتماع به

رودلف — واذا طلب يدك من والدنا

ايفون — ارفض كل الرفض طلبه يا حبيبي ولا أفارقك يا شقيق الروح فليس لي رغبة في الزواج وانت تعلم اني نشأت على الحرية وأحب شيء لدي الصيد وركوب الخيل ونفوري من المجتمعات والمراقص ومقتي للعادات وقانون المجتمع فلي من حبك اكبر عاطفة تمنح قلبي السعادة ولي من ثروة والدنا مايكفيني

فبذا اعيش مرتاحة الفكر لا شيء يحول بيني وبين السعادة واما اذا تزوجت فلا اضمن نصيبي هل احظى بزوج يشاطرني عواطفي وأمالي لا سيما اذا كان غيورا او كان غير أمين فأكون مقيدة بقيوده وتجب علي طاعته واذا تحول عني بعد أن ينال بغيته وعلق سواي كما هي عادة شبابنا وهذا ما يحدث كثيراً على مشهد منا فماذا تكون حالتي يا حبيبي

رودلف - واذا لم أكن شقيقك وكان بيننا هذا الحب وطلبت يدك أكنت ترفضين؟

ايفون — ان حبنا سماوي فاسنا نتخاطب الا بأرواحنا واكبر برهان على ذلك ان كلانا يهوى الآخر الى حد العبادة ونحن شقيقان فكيف يكون لو لم نكن شقيقين أليس هذا حبا سماويا كما قلت يا حبيبي وقدرة لا يمكن للعقل ان يحدها فضمها رودلف الى صدره وقبلها وبينما هما كذلك دخلت ادريانه وما كان عظم فرحها لما رأتهما يقبلان بعضهما وبينما هم على هذه الحالة سمع قرع جرس الباب الخارجي فتوجهت ادريانه لترى من القادم واذا بساعي البريد يسلمها خطاباً للكونتيس فأخذته وقفلت الباب ثم توجهت لغرفة الكونتيس وسلمتها الخطاب وما عاينت الكونتيس خط العنوان حتى صاحت فرحة هذا من أخي المركيز ثم فضته فأشرق وجهها وقالت لادريانه ان تدعو لها رودلف وايفون فلما حضرا قالت لهما ان خالكما المركيز سيحضر اليوم وهو آت من نيويورك في أمريكا بعد غياب ثمانية عشرة سنة فاستعدا لاستقباله فقد ارسل لي خطاباً ينبئني بحضوره الساعة السابعة من مساء اليوم ففرح رودلف وايفون وهنأت ادريانه الكونتس بعودته وسألتها ما سبب سفره يا مولاتي فأجابتها الكونتس لا أدري له سببا حتى اليوم يا ادريانه فانه سافر على بغتة من زمن بعيد ولم يخبر أحداً الا بعد وصوله الى أمريكا وكان يخبرنا بأن المقام يطيب له هناك ولا يطيب له في باريس ثم أخبرت زوجها الكونت فانشرح ودعا كثيراً من الاشراف ومن جملتهم الطبيب وما أزفت الساعة حتى كان القصر بالغا غاية الابهة والزينة مزدحماً بالمدعوين وعليهم لوائح السرور واذا بالخادم يعلن وصول المركيز فقام الجميع لاستقباله وكانت ادريانه بين الجمهور

وما وقع نظرها عليه حتى صرخت وسقطت مغشيا عليها فاندهش الجميع ثم نظر اليها المركيز يامعان ووضع يده على جبينه ووقف وقفة المفكر وما كان اسرع من رودلف وايفون بحمل ادريانه واجلاسها على كرسي كبير وأخذ الطبيب في افاقتها بتنشيقها بعض المنبهات من محفظة الاسعاف الوقتي التي كان يحملها في جيبه دائماً فدهش الحضور من هذا الحادث وكأن على رؤوسهم الطير وبعد قليل افاقت ادريانه فنظرت حولها كخائفة واذ وقع نظرها على المركيز الذي أغراها وهجرها وهي لا تعلم كل هذه المدة التي قضتها في قصر الكونتيس انه أخوها ثم قالت المركيز : انظر يا ارمان الى رودلف ولدك كيف انه اصبح شابا جميلا وكيف انك حنثت بيمينك الذي كان وقتئذ الله وحده شاهداً به عليك . الم تقل لي اني اقسم لك بشرفي ان اكون لك أمينا في الحب اين وعدك؟ اين عواطفك؟ اين قسمك؟ اين عهودك؟ هل أنا في يقظة ام ما أراه امامي حلما عميقاً (ثم دعكت عينيها بيديها ونظرت اليه) كلا كلا بل أنا في يقظة أشعر واعقل وأرى: أنت المركيز ارمان دي سان لوار

فاقترب المركيز اليها وقد هاج غرامه القديم وندم عما فرط منه ورأى ان يقدم عن ذنبه كفارة صادقة ليستريح من توبيخ الضمير وصاح بها قائلا : ادريانه ادريانه . . . .

وما كانت دهشة الكونت والكونتيس حينما سمعا المركيز يلفظ اسم ادريانه بحنان يفوق كل حنان فكأنه يعرفها من أمد بعيد ثم تابع المركيز كلامه قائلا : ادريانه ادريانه! كفى ما لاقيته من توبيخ النفس فهذا اشد بكثير من توبيخ اللسان واني أقر امام هذا الجمع المحتشد في هذه الليلة وكان احتشاده لأجل مقابلتي وهنيئي بالعودة سالما من سفر بعيد بأنك زوجتي. ولم يكن يدور في خلد أحد ممن حضر في هذه الليلة انه سيطلع على سر عظيم قديم العهد فاستصيح صهري الكونت وشقيقتي الكونتيس وجميع الحضور عن الانزعاج الذي بدا لهم وكنت انا مسببه

الجميع : لا يزعجنا شيء أيها المركيز سوى رؤيتك غير مستريح غير اننا نتمنى لك الراحة والسعادة وكانا هنا اشراف واخوان

ولما قالت ادريانه للمركيز (انظر يا ارمان الى رودلف ولدك كيف أنه اصبح شاباجميلا)

نظر رودلف الى ايفون فرآها ناظرة اليه فتبادلا النظرات التي لا يخفى عليهما معناها

المركيز (للجميع) شكراً لكم ياسادتي فاني اعترف أمامكم حتى اكفر عن ذنبي ثم حكى لهم ما جرى له مع ادريانه قدهش الحضور

ثم ركع أمام ادريانه طالبا منها الغفران وقال لها ان تقص على الحضور الباقي من حين تركه لها فقصت كل ما عرفه القارىء واستشهدت بالطبيب ورئيسة الدير على صحة روايتها فصفق الحاضرون تصفيق الاستحسان وبعد اسبوع زفت ايفون الى رودلف وعاش الجميع على اتم صفاء وهناء

مصر نجيب شلفون

قال ابن الرومي

أنت يا شيخ نائم فتنبه وانتصحني فلست من غشاش
لك أنثى تزيف في كل بيت وتربي الأفراخ في أعشاش

وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفا فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه ولا كل من صافيته لك قد صفا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة فلا خير في ود يجيء تكلفا
ولا خير في خل يخون خليله ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشاً قد تقادم عهده ويظهر سراً كان بالامس في خفا
سلام على الدنيا اذا لم يكن بها صديق صدوق يصدق الوعد منصفا